التقدم على الطريق المسدود

منذ حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ والثورة الفلسطينية تتقد وتكسب مواقع جديدة. على المستوى العربي تقدمت في مؤتمر الرباط فاعترفت الدول العربية بان منظمة تحرير فلسطين هي الممثل الشرعي ا لوحيد للشعب الفلسطيني وكسبت " صلا حية " تلقى ما قد يتحرر من الاراضى المحتلة وصححت التسليم " الواقعي " الذي حدث سنة ١٩٤٨ يوم أن اقتسمت فلسطين بين دول عربية وبين الصهاينة. وعلى مستوى الرأي العام العالمي أصبح مسلما- او يكاد يكون مسلما- ان أي حل لمشكلة السلام في الشرق الاوسط لا يمكن أن يتم في غيبة منظمة التحرير الفلسطينية. وان للشعب الفلسطيني حقوقا مشروعة " حتى من دون تسمية تلك الحقوق المشروعة. وتعمر صحف العالم جميعا التي كانت من قبل تنكر وجود الشعب ذاته- بنقد موقف اسرائيل، غير الواقعي الرافض المفاوضة مع منظمة تحرير فلسطين . وعلى مستوى المجتمع الدولي تقدمت " الثورة الفلسطينية فى مواقع لم تسبقها اليها أية حركة تحرير أخرى . فقد قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة دعوة المنظمة لالقاء كلمتها في المناقشة المفتوحة حول قضية فلسطين . وذهب ابو عمار والقى كلمته التاريخية وعومل معاملة رؤساء الدول طبقا " لبروتوكول " المنظمة الدولية. وتقدمت الثورة الفلسطينية فأخذت مقعد المراقب في هيئة الامم المتحدة .

بعكس ما يقال تمثل كل تلك الخطوات مكاسب حقيقية للثورة الفلسطينية وتتضح سماتها كمكاسب من خلال مقارنتها بالمواقع التي سبقتها وليس قياسا بالامال التي لا تزال معلقة على مستقبل الصراع مع القوى المعادية للثورة. ان الشعب الذي طالما انكر الصهاينة وجوده وتجاهل المجتمع الدولي ماهيته كشعب قد اسقط عنه عنوان " اللاجئين " وفرض وجوده على منكريه ومتجاهليه. والارها بيون من قبل قد اعترف لهم بانهم ثوار من اجل التحرر كما كانوا منذ البداية. والقضية التي حاولت قوى كثيرة حصرها في نطاق الامن والحدود قد فرضت حقيقتها فاعترف بانها قضية ارض ووجود.. الخ . كل هذه مكاسب وخطوات متقدمة بالمقارنة بالبداية المتواضعة لحفنة من الشباب بدأوا الثورة في مطلع عام ١٩٦٥.

من ناحية أخرى فان هذه المكاسب والخطوات المتقدمة لم تمنح للثورة الفلسطينية تبرعا من أحد . لقد قدم الشعب العربي ضحايا بشرية وا قتصادية هائلة ليفرض على كل الاطراف افساح الطريق لمسيرته المتقدمة. بل نستطيع ان نقول ان الشعب العربي الفلسطيني قدم من التضحيات البشرية حتى الان ما يتجاوز بكثير ما قدمته أية ثورة أخرى بالنسبة الى حجمه وظروفه. ولعله الشعب الوحيد الذي كانت ضحاياه من البشر في الخطوط الخلفية لثورته اضعاف ضحاياه في صدامه القتالي مع اعدا ئه في خطوطه الامامية. ومع ذلك فانها- كلها- ضحايا قدمتها الثورة من اجل ان تبقى وتنتصر.

ويجادل كثيرون في استحقاق النشاط الثوري لما كسبت الثورة من مواقع متقدمة. يقولون انما هي مغريات تقدم الى الثورة في مساومة صامتة تستدرج بها الى مواقع التسليم والتصفية . ان هذا الرأي- على اطلاقه- غير صحيح . ولكنه لا يخلو من صحة. فلا شك في ان التراجع للاستدراج الى مواقع افضل للصراع خطة تقليدية في كل صراع . ولا شك في أن القوى المعادية في الاصل للثورة، والقوى المتفقة مع الثورة مرحليا وتكتيكا ولكنها معادية لاهدافها الاستراتيجية قد ترى - معا- ان التراجع التكتيكي أمام الثورة ، أو السماح لها بكسب مواقع محدودة ، وسيلة فعالة للوصول بالثورة الى مأزق لا

تملك فيه الا التنازل عن أهدافها الاستراتيجية . اعني لا تملك فيه الا قبول الهزيمة والتسليم . غير ان المكاسب والخسائر في الصراع الثوري لا تتوقف على مجرد النوا يا. لا نوايا المتقدمين ولا نوايا المتراجعين . بل العبرة في كل مرحلة بما يتحقق عينيا وواقعيا في ساحة الصراع ولكل طرف ان يحتفظ بنوا ياه أو يجترها بدون أن يكون ذلك ملزما للطرف الآخر (١).

ثم ان مجرد التجاء القوى المعادية للثورة الفلسطينية استراتيجيا الى اسلوب التراجع أمامها وتمكينها من التقدم بدلا من اسلوب التصدي لها ايجابيا ودفعها الى التراجع لا يمكن ان يكون اختياراً متبرعا به من القوى المعادية. ان اقل ما يمكن أن يقال هو ان الثورة الفلسطينية قد استطاعت ان تفرض على القوى المعادية أسلوبا جديدا يسمح لها بالتقدم ولو خطوة واحدة بدلا من الصمود أو التراجع. ويوم أن تفرض، الثورة، أي ثورة ، على ا عدائها التخلي عن اسلوب في الصراع واختيار ا سلوب آخر تكون قد كسبت وحققت تقدما لا يستهان به .

وحتى لو صدق ما يقال من أن ما حققته الثورة الفلسطينية من مكا سب على المستوى العربي والدولي، يرجع الى ارادة القوى المعادية لاهدافها الاستراتيجية استدراجها وتوريطها في مأزق لا تملك فيه الا أن تستسلم فانه من المثالية الفاشلة ان ترتبط ارادة الثورة بارادة أعدائها ارتباط رد الفعل بالفعل الاصيل . ومن امثلة تلك المثالية الفاشلة أن يقال للثورة لا تتقدمي الى مواقع جديدة لان العدو هو الذي تراجع عنها استدراجا أو توريطا. انما على الثورة أن تتقدم وتضع قدميها في كل مكان يتسع له ثم تستثمر تقدمها المرحلي لخدمة المرحلة التالية طبقا لخطتها الاستراتيجية بصرف النظر عما تريد القوى المعادية. ان الثورات التي تستحق النصر لا يمكن أن تفقد اصالتها الثورية وتصبح في حركتها تابعة لمخططات القوى المعادية. ان الثورة فعل ايجابي دائما وهو ما يعني أن لها خططها الخاصة المنضبطة باهدافها الاستراتيجية غير المتوقفة على نوايا العدو .

من هنا نقول ان الثورة الفلسطينية قد حققت- حتى الان- مكاسب هامة وتقدمت خطوات لا يمكن انكار قيمتها قياسا على مواقعها ومواقفها، ومواقع ومواقف أعدائها، السابقة على ما تم منذ تشرين (اكتوبر). ومن يشك- بعد- في أن الثورة الفلسطينية تكسب وتتقدم عليه أن يراجع مواقف ومواقع العدو الآن ويقارنها بمواقفه ومواقعه السابقة على تشرين " اكتوبر " ١٩٧٣ فإن ابسط المقاييس هي أن كل هزيمة للعدو هي انتصار للثورة .

كل هذا- فيما نعتقد - صحيح أو يمكن الاتفاق عليه لانه واقع متعين، ثم يبقى السؤال الاهم : الثورة الفلسطينية تتقدم ، نعم، ولكن الى أين؟

ان الاجابة على هذا السؤال لا تهم الثورة الفلسطينية وحدها بل تهم الامة العربية كلها. وهو سؤال تبلغ جديته وخطورته حدا لا يسمح بتجاهله. ان تجاهله قد يؤدي الى اغراق اكثر من قطر عربي في بحور من الدماء لا يستطيع أحد منذ الان أن يتنبأ بمن سيغرقه طوفانها. وذلك لان وراء كل الاطراف النشطين على مسرح الاحداث العربية حاليا شعبا عربيا متوتر الانتباه لن يسمح لاحد ، أي احد، بأن يشتري سلامته الشخصية أو سلامة أى ارض عربية مقايضة مع العدو بأرض فلسطين أو بجزء من أرض فلسطين . ولا نبالغ اذا قلنا ان مسؤولية هذا المصير الدموي، ومسؤولية تجنيب الشعب العربي أهواله وعذابه. يتوقف بالدرجة الاولى على موقف الثورة الفلسطينية من المستقبل القريب.

من هنا فان الشعب العربي يقف من الثورة الفلسطينية- في هذه المرحلة- موقفا واحدا ذا وجهين:

الوجه الاول: التأييد الكامل لكل خطوة دعائية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية تكسب للثورة موقعا متقدما على المستوى الدولي . انه يدعم ويبارك تقدم الثورة على طريقها الطويل ولو كان تقدمها معنويا

فقط . انها كلها مكاسب لا بد من أن تؤخذ ولا يجوز التفريط فيها لاي سبب لا يتناقض مع الهدف الاستراتيجي للثورة : استرداد أرض فلسطين .

الوجه الثاني : رفض وادانة ومنع (بالوسائل المناسبة) التنازل الصريح أو الضمني عن الهدف الاستراتيجي للثورة مقابل الحصول على انتصارات تكتيكية أو مرحلية. اعني رفض وادانة ومنع (بالوسائل المناسبة) تصفية الثورة .

ان لهذا الموقف الواحد- ذي الوجهين أسسا عقائدية لن تزعزعها كل قوى العالم ولن يستطيع أحد ان يناور عليها أو يلتف حولها. خلاصتها انه لا الشعب الفلسطيني ممثلا في منظمة تحرير فلسطين ولا الشعب العربي كله ولا الدول العربية مجتمعة أو منفردة تملك حق التصرف في أرض فلسطين . انها جزء من الوطن العربي تملكه الاجيال المتعاقبة من الشعب العربي كله ولا يملكه أحد ليتصرف أو يساوم عليه.

ثم نقول :

ان الوجه الاول من الموقف هو المطروح في هذه المرحلة. ان الثورة الفلسطينية تكسب وتتقدم وبالتالي تستحق الدعم والتأييد. ولكن الثورة الفلسطينية لم تتجاوز مكاسبها التكتيكية الى أي تنازل صريح أو ضمني عن هدفها الاستراتيجي . من هنا فاننا لا نستطيع أن نفهم موقف من يسمون أنفسهم " جبهة الرفض " الا على أساس انه موقف من " نوايا " تتصل بالمستقبل، وليس موقفا من واقع متعين في الحاضر. ولقد قلنا من قبل ان المكاسب والخسائر لا تتحقق بالنوايا ولكن بالواقع المتعين. لهذا فان الشعب العربي لا يستطيع- من ناحية- حجب تأييده لما تحققه الثورة الفلسطينية استنادا الى الاتهامات الموجهة الى " النوايا " ولا يستطيع- من ناحية أخرى- أن يقبل من الثورة الفلسطينية مجرد " النوايا " ضمانا للمستقبل .

وهذا هو بيت القصيد .

والحديث موجه الى القادة والكوادر والقواعد المقاتلة في الثورة الفلسطينية. لقد تقدمت الثورة الفلسطينية الى موقع الاعتراف العربي الكامل بمنظمة تحرير فلسطين للشعب الفلسطيني ولكن هذا الا عتراف كان مصحوبا بتحميل الثورة الفلسطينية وحدها مسؤولية تقرير مصير فلسطين . وهو ما يعني تماما التخلي عن مسؤولية الاسهام في تقرير مصير فلسطين بالاسلوب الذي اختارته الثورة. وتقدمت الثورة الفلسطينية الى موقع كسبت به صلاحية تلقي أي ارض تتحرر واقامة سلطة وطنية عليها، ولكن الارض المقترح تقديمها الى الثورة الفلسطينية ذات حدود مع باقي فلسطين مطلوب أن تضمن السلطة الوطنية أمنها. وتقدمت الثورة الفلسطينية الى موقع كسبت به اجماع الرأي العام العالمي على ا ستحالة استقرار السلام في " الشرق الاوسط " في غيبة الشعب الفلسطيني، ولكن هذا الرأي العام العالمي نفسه ما يزال يجمع على أن ذات السلام الذي لن يستقر في غيبة الشعب الفلسطيني لن يستقر أيضا الا بقبول الوجود الاسرائيلي في فلسطين . وتقدمت الثورة الفلسطينية فكسبت مقعدا لمراقب في هيئة الامم المتحدة وعومل قائد الثورة فيها معاملة رؤساء الدول، ولكن هيئة الامم المتحدة تعطي اسرائيل فيها مقعد العضوية لا مقعد المراقب وتعامل رئيس دولة الصهاينة- لو ذهب اليها- معاملة رؤساء الدول أيضا.

لقد فتحت الثورة الفلسطينية الطريق وتقدمت عليه وحققت مكاسب لا يمكن انكارها أو فرضت الثورة الفلسطينية على القوى المعادية أن تفسح لها الطريق فتقدمت عليه وحققت مكاسب لا يمكن أنكارها. يستويان في الحاضر ولكن المستقبل يختلف . ان ذات القوى المعادية للاهداف الاستراتيجية للثورة قد

اقامت في نهاية الطريق سدا معلوما ومعلنا أساسه الاعتراف الصريح أو الضمني باسرا ئيل أو ضمان أمن حدودها، أي تصفية الثورة .

ان الثورة الفلسطينية تتقدم ولكن على طريق مسدود .

وغدا أو بعد غد، ستصل خلال تقدمها الى السد .

ولن يقول أحد انه قد فوجيء فان كل شيء مفضوح . فما الذي ستفعله الثورة حينئذ؟

انه سؤال صعب. صعب الى درجة أن قوى كثيرة تجزع من مجرد مواجهته. اعني انها تفضل التوقف من الان قبل أن تصل الثورة الى مواجهة التحدي التاريخي الذي يمثله هذا السؤال . قبل أن تصل الى السد القائم في طريقها. وهو اصعب بكثير من أن تترك الاجابة عنة للظروف بمنطق، سنرى حينئذ ماذا علينا أن نفعل. ولا ترجع صعوبته الى مجرد انه سؤال مصيري يتوقف عليه مصير الثورة ذاتها أو مصير كثير مما هو قائم الآن فى الوطن العربي، بل يضاف الى هذا ان كل القوى التي تراجعت أمام الثورة حتى الان ستدير ظهرها الى السد وتواجه الثورة من موقف عداء سافر. ان الذين مهدوا من قبل للتخلي عن المسؤولية سيقفون بعيدا ويقولون للثورة قرري انت مصيرك فان " الشعب الفلسطيني مسؤول عن تقرير مصيره ". والذين اعترفوا بوجود الشعب الفلسطيني سيقولون له قد آن الاوان لتعترف بالوجود الاسرائيلي . والذين ا ستقبلوا قائد الثورة في هيئة الامم المتحدة وقدموا للثورة مقعد المرا قب سيطلبون من الثورة أن تلتزم بميثاق هيئة الامم "فلا تستولي على الارض بالقوة " وتحترم قراراتها التي تعترف بالوجود الاسرائيلي . باختصار عند السد ستكون الثورة الفلسطينية مطالبة " بالثمن " من الاعداء والحلفاء والاصدقاء وعلى المستوى الرسمي العربي والدولي . وفي مواجهة كل هؤلاء سيكون عليها أن تجيب على السؤال الصعب .

ماذا تفعل؟

واضح ان الامر اكثر جدية وخطورة من أن يقول لنا الثوار : ثقوا فينا وفي ارادتنا الثورية فسنتخطى هذا السد أيضا كما تخطينا من قبل سدودا كثيرة .- ان أحدا لا يستهين بارادة الثورة الفلسطينية أو يشك في نوا ياها . ولكن المكاسب والخسائر لا تتوقف على النوايا وحدها بل على المعطيات العينية. ولا يمكن لاحد أن يزعم أن ارادة الثورة وهى تواجه كل أعدا ئها واصدقائها وحلفائها السابقين ستكون بمثل النفاذ الذي كان لها يوم أن كانت تواجه اعداء على خطوطها الخلفية. لهذا فان الشعب لا يقبل رهان المستقبل على ثقته بالثورة . ويكون على الثورة- لكسب رهان المستقبل- أن تحول ارادتها ومن الان الى معطيات تتراكم وهي تتقدم حتى اذا ما بلغت السد كانت قادرة على اقتحامه ومواصلة مسيرتها " ثورة حتى النصر".

ما هي تلك المعطيات، وكيف تتحقق، وكيف تتراكم حتى تصبح من القوة بحيث تمكن الثورة- غدا أو بعد غد- من اقتحام السد القائم على طريقها ومواصلة مسيرتها ، ثم، أين تتحقق تلك المعطيات، في قوى الثورة أم في الارض المحتلة أم في الارض العربية أم على المستوى الدولي؟.. كل هذه الاسئلة والاجوبة الصحيحة عليها تحتاج الى درا سات علمية أكثر عمقا من أية درا سة وتحتاج الى جهود مكثفة أكثر ثورية من القتال المسلح ذاته. والانشغال بها- بعد- هو المحك الحقيقي لفرز الثوار حقا من ادعياء الثورة. وانه لاجدى الف مرة ، من اجل تحرير فلسطين، ان يساند الثورة في مسيرتها وهي تتقدم نحو السد بما يساعد على اقتحامه من أن تطوق ومنذ الان بحزام "الرفض " الذي يضعف مقدرتها على مواجهة التحدي التاريخي الذي ينتظرها.

غدا أو بعد غد.. كل القوى التي تراجعت أمام الثورة " الفلسطينية " حتى الان ستدير ظهرها الى السد وتواجه الثورة من موقف العداء السافر. الذين مهدوا من قبل للتخلي عن المسؤولية سيقفون بعيدا ويقولون للثورة قرري انت مصيرك فان " الشعب الفلسطيني مسؤول عن تقرير مصيره ". والذين اعترفوا بوجود الشعب الفلسطيني سيقولون له قد آن الاوان لتعترف بالوجود الاسرائيلي والذين استقبلوا قائد الثورة في هيئة الامم المتحدة وقدموا للثورة مقعد المرا قب سيطلبون من الثورة أن تلتزم بميثاق هيئة الامم المتحدة " فلا تستولي على الارض بالقوة " وتحترم قراراتها التي تعترف بالوجود الاسرا ئيلي . باختصار عند " السد " ستكون الثورة الفلسطينية مطالبة " بالثمن " من الاعداء والحلفاء والاصدقاء وعلى المستوى الرسمي والعربي والدولي، وفي موا جهة كل هؤلاء سيكون عليها أن تجيب على السؤال الصعب ، " ماذا تفعل " ؟.

تلك هي المحصلة المتوقعة " اذا " ما تطورت الظروف تلقائيا بدون تدخل ثوري يغير مسيرة تطورها. ونعني بالظروف المعطيات الموضوعية في الثورة الفلسطينية نفسها وفي العالم العربي والدولي .

ومن هنا يتحدد الواجب الاساسي للثورة في هذه المرحلة. الوا جب الذي يلزم اعطاءه اولوية مطلقة على كل الواجبات المرحلية الاخرى . انه على وجه التحديد العام ، استثمار كل الامكانيات المتاحة لتطوير الظروف، ظروف الثورة. وظروف العالم العربي والظروف الدولية بقصد تحقيق أمرين :

الاول: الحيلولة دون أن تصل الثورة الى غاية الطريق المسدود، اما بتحطيم المجهودات التي تتجمع لتقيم سدا على طريقها أو بشق طرق احتياطية تستطيع الثورة أن تنفذ منها مستأنفة مسيرتها بدون حاجة الى مواجهة كل القوى في نقطة تجمع واحدة .

الثاني : تنمية امكانيات الثورة بحيث تكون- في اللحظة الحاسمة- قادرة على تحدي كل القوى التي تتجمع لتسد عليها طريقها الى غايتها الاستراتيجية.

والامران متكاملان في اسلوب تحقيقهما. فمن خلال النضال الثوري ، اليومي، وعلى كل المستويات لتحقيق الامر الاول، تنمي الثورة امكاناتها الكفيلة- في اللحظة الحاسمة.- بتحقيق الامر الثاني، وخلال كل هذا تغير الثورة- أو يمكن ان تغير- ظروفها أوظروف العالم ا لعربي وا لظروف الدولية أ يضاً .

أما عن ظروف الثورة فتنقسم الى قسمين :

١- ظروف داخلية تتمثل في قواها البشرية وتوزيعها على النشاطات العسكرية والسياسية وعلاقاتها فيما بينها وبين قواعدها الجماهيرية، ومقدار ما هو متحقق فيها- من وحدة وانضباط وديموقراطية. وهي ظروف كما تبدو للكثيرين سيئة، بمعنى انها معوقة لفاعلية الثورة . وكما تبدو لنا يعتبر استمرارها الى أن تصل الثورة الى مرحلة التحدي التاريخي الذي تكلمنا عنه انتحارا مؤكدا. اننا لا نستطيع هنا أن نتحدث عن كل ما نعرف حتى لا نصبح طرفا في صراع لا يحقق شيئا سوى اضعاف الثورة . كما لا نستطيع أن نتحدث عن التفاصيل والمواقف الذاتية. ولكننا نتحدث عن "نواقص " عامة ونختار منها اثنتين : الوحدة وا لديموقراطية .

ان الوحدة التي تعنينا هي وحدة التنظيم وليس وحدة الرأي لأن وحدة التنظيم ممكنة ووحدة الرأي مستحيلة ومن هنا فاننا لا يمكن أن نطالب أحدا بان يشتري الوحدة التنظيمية بالتنازل عن معتقداته أو رأيه. ولا نقول القول البديهي الذي يعرفه كل المناضلين من أنه عند اختلاف المنطلقات الفكرية وحتى

الاهداف الاستراتيجية بين الذين يناضلون في سبيل غاية مرحلية واحدة ضد عدو مشترك تكون الجبهة هي الاسلوب العلمي الوحيد للوحدة أداة الثورة . والجبهة تعني أن يؤجل كل طرف فيها الصراع حول منطلقاته الفكرية وغاياته البعيدة . نقول يؤجل ولا نقول يتنازل.. هذا قول بديهي يبدو ان كثيرا من فصائل الثورة لا تراه مقنعا. فنضيف انه بصرف النظر عن كل بحث عقلاني فان وحدة فصائل الثورة ولو في جبهة ستصبح قريبا ضرورة غريزية : اعني انها ستكون الملاذ الوحيد، التلقائي، للدفاع عن النفس . عن الثورة نفسها بكل فصائلها. ومن هنا تبدو الفرقة الحالية مغامرة انتحارية لا لفصيل من فصائل الثورة، بل لكل فصائلها جملة، المخطىء والمصيب. والواقع ان الشعب العربي لا يستطيع ، على ضوء توقعات المستقبل ان يلحظ الفارق بين الانقسام في أداة الثورة وبين خيانة أهدافها الا حسن النية. وليس حسن النية عذرا عن الهزيمة. فعندما تحل الهزيمة سيجرف تيار الانتقام كل اطرافه ولن يتوقف أحد ليرى من كان مخطئا ومن كان مصيبا، من كان حسن النية ومن كان يتآمر على الثورة من داخلها !..

ثم نحدد فنحاور الاخوة الذين اختاروا مواقعهم فيما يسمى " جبهة الرفض " . انكم شركاء في الثورة ومن حقكم أن ترفضوا ما تعتبرونه مهددا لمسيرتها. هذا لا شك فيه. ولكن الذي يحيط به الشك أن يكون ا نقسام أداة الثورة - تنظيميا- هو الاسلوب الصحيح لحماية الثورة ومسيرتها مما ترون فيه خطرا عليها . ان الانقسام لن يفعل شيئا الا اضعاف الثورة ذاتها، ثم اعطاء كل طرف الحرية في أن يحقق ما يريد بدون عائق . انه يبدو لنا بحثا عن البراءة الذاتية عن طريق الهروب من الحوار أو حتى الصراع داخل الثورة حما ية للثورة بما تتخوفون . والحوا ر أو الصراع ، أيهما، يتم من خلال الالتحام والنشاط الايجابي ولا يتم من خلال الفرقة وتبادل الاتهامات من الخارج . اننا نعرف ما يمكن أن يرد به على هذا. انه المشكلة الاخرى، مشكلة الديموقراطية.

والديموقراطية تعني - أساسا- الاحتكام ، عند الا ختلاف، الى القواعد المنظمة وقبول الاقلية بتنفيذ رأي الاغلبية. ويقتضي هذا قواعد كثيرة منظمة للمشاركة في الحوار وطرح الاراء وفي معارضتها والدفاع عنها كما يقتضي قبل كل شيء قبول كل الاطراف للديموقراطية أسلوبا للتعامل فيما بينهم. وهذا بدوره يعني الالتزام بأن تطرح للحوار كل الامور التي لا يتم الاتفاق عليها، وفي أوقات منتظمة محددة مسبقا، أو طبقا لاجراءات محددة من قبل : نريد أن نقول انه لا يكفي للاحتكام الديموقراطي أن تطرح للمناقشة الامور التي يعرف طارحوها مقدما ان الاغلبية ستتبنى رأيهم فيها، أو في الوقت المناسب لتبنيها، وتحجب عن الطرح الديموقراطي الامور التي يخشى فيها من رأي الاغلبية.

بغير وحدة أداة الثورة، ستفشل الثورة في اقتحام ما يعد على طريقها من سدود. وبغير الديموقراطية لن تتحقق وحدة أداة الثورة وعلى الثوار حقا ان يطوروا - قبل فوات الاوان- الظروف الداخلية للثورة لتصبح قوة ضاربة واحدة في مواجهة اعدائها ديموقراطية في داخلها. وعندما تتحقق لاداة الثورة هذه الوحدة الديموقراطية ستكون قادرة على حل بقية مشكلات الممارسة داخلها وخارجها ومنها اعادة التوازن بين القوى الثورية المقاتلة والقوى السياسية والدعائية المساعدة للنشاط الثوري، أو المفروض أن تكون مساعدة . وعلى وجه خاص تكون قادرة على تصحيح ظروفها الخا رجية .

٢- نعني بالظروف الخارجية للثورة الفلسطينية علاقتها الحالية بمن هو خارجها من افراد ومجموعات ونظم وعلاقته أيضا - وبشكل خاص - بالارض . فما تزال الثورة الفلسطينية ثورة من أجل الارض ولكن بدون أرض . نعني أرضا خاصة بها محجوبة أو مسدودة دون أية سلطة أخرى. أو نعني قاعدة حشد وتعبئة وا نطلاق . ان أرض الثورة ما تزال أرضا مستعارة " تنتفع " بها مؤقتا كالمستعير برخاء الدول العربية. حتى انتفاعها الحالي بأرض لبنان قائم الآن نتيجة قبول الدول العربية لهذا الا نتفاع " المؤقت ". وهو مؤقت بقبول الدول العربية وآية هذا انه في كل مرة وفي كل مكان، رفضت الدول العربية ا نتفاع الثورة باراضي ا حدى الدول لم تستطع الثورة أن تأخذ من تلك الارض قاعدة لها . وفي

ايلول الاسود عام ١٩٧٠ واجهت الثورة الفلسطينية ابشع تصفية جسدية في الاردن تحت سمع وبصر كل الدول العربية. وفي كل مرة ، وفي كل مكان، سمح للثورة الفلسطينية بقاعدة من الارض كان قبول الدول العربية المعنية مرتبطا بمصالحها وخططها الاقليمية.

ولقد آن الاوان لتفكر الثورة الفلسطينية باكبر قدر من الجدية فى المخاطر الكامنة فى هذا الموقف لا نعني موقف أن ليس لها " أرض- قاعدة " بل نعني أن حصولها على " ارض- قاعدة " متوقف وجودا وعدما على قبول الدول العربية الصالحة أرضها لتكون قاعدة انطلاق الى فلسطين المحتلة. ان المخاطر الان ليست معدومة حتى لو كانت محدودة لان الدول العربية مشتركة في صراع عسكري حينا وسياسى حينا من اجل " ازالة اثار العدوان " يقصدون عدوان ١٩٦٧، ومن هنا فان للدول العربية المعنية مصالح " اقليمية " في الابقاء على الثورة الفلسطينية ودعمها والسماح لها بان " تنتفع " " بأرض- قاعدة ". ولكن هذا القول كان وما يزال مشروطا باسبابه. وغدا أو بعد غد. اذا استمرت ظروف الثورة وظروف الدول العربية والظروف الدولية كما هي في تطورها التلقائي ستكون الدول العربية في موقف الخيا ر بين الثورة الفلسطينية وبين ازالة آثار عدوان ١٩٦٧. لا أقول الاغبياء بل أقول المجانين فقط هم وحدهم الذين يتصورون ان الاختيار حينئذ سيكون لمصلحة الثورة الفلسطينية. أعني لمصلحة فلسطين وهذا يعني ان الارض - كل الارض العربية- ستكون محرمة على الثورة .

لا نشك لحظة في أن الظرف "الاقليمي " كان وما يزال " وسيكون مصدر أشد المخاطر على الثورة الفلسطينية. نقول كان وما يزال وسيكون لانه ظرف لصيق بالثورة الفلسطينية منذ نشأتها وصاحبها في مسيرتها ويهدد الان مستقبلها بالهزيمة والتصفية. فلقد نشأت أداة الثورة الفلسطينية وما يزال نظامها الداخلي قائما على أساس شرط الانتماء الى الاقليم الفلسطيني . ولم تسمح لغير المقيمين أو النازحين من فلسطين الا بمساندتها فرادى ومن خارج المؤسسا ت التي يتضمنها تنظيمها العسكري والجماهيري . وهكذا نشأت واستمرت مستقلة التكوين عن الجماهير العربية ولما كان الاستقلال علاقة ذات طرفين فان الجماهير العربية كانت وما تزال مستقلة التنظيم والحركة عن الثورة الفلسطينية. وبقيت العلاقة بين الثورة الفلسطينية ومؤسساتها من ناحية وبين الجماهير العربية من ناحية أخرى علاقة خارجية حتى لو اخذت طابع التأييد الجماهيري والدفاع والمساندة للثورة. ان أقصى صيغة جماعية وصلت اليها هذه العلاقة هي " الجبهة المساندة " التي تكونت منذ سنين على هامش الثورة وما تزال باقية على هامشها. ولم تصل تلك العلاقة- أبدا- الى حد الالتحام العضوي التنظيمي. فانفردت الثورة الفلسطينية باتخاذ القرارات وقيادة تنفيذها ولم تترك مجالا لعربي من غير فلسطين الا ان " يتطوع " لتنفيذ القرار الفلسطيني تحت القيادة الفلسطينية، وهو مجال كان وما يزال هامشيا.

ولما كانت الثورة في حاجة مستمرة الى دعم اعلامي ومالي وعسكري والى " أرض " على وجه خاص فانها في " قوقعتها " الاقليمية لم تجد سبيلا الى ما تحتاج اليه الا التعامل مع الدول العربية الاقليمية مستفيدة في هذا من معطيات مرحلة ما بعد ١٩٦٧ التي فرضت على الدول العربية أن تكون شريكة سلاح من أجل ازالة آثار العدوان وكان أقصى ما استطاعت الثورة أن تحمي نفسها به هو اعلانها المتكرر بأنها " لا تتدخل في شؤون الدول العربية ولا تسمح للدول العربية بالتدخل في شؤونها " . والوا قع ا نه شعار لم يفد الثورة شيئا ولم يضر الدول العربية شيئا. فمن حيث عدم تدخل الثورة الفلسطينية في الشؤون الداخلية للدول العربية قدمت الثورة تأمينا للدول العربية ضد الالتقاء الثوري بين جماهيرها والثورة الفلسطينية ولو على أرض معركة فلسطين وكسبت انحياز الثورة الفلسطينية اليها بدلا من انحيازها ضد جماهيرها . ومن حيث عدم تدخل الدول العربية في شؤون الثورة فقد كان وما يزال شعارا غير ذي مضمون . ان اعتماد الثورة اعتمادا أساسيا على الدعم الاعلامي والمالي والعسكري و " أرض " الدول العربية هو وا قعيا أقصى درجات التدخل في شؤون الثورة الفلسطينية من قبل الدول العربية التي تدعمها وتمنحها " الانتفاع " بأرضها. وليس التدخل الظاهر في صميم

مؤسسات الثورة وفصائلها الا مظهرا ملموسا للتدخل الموضوعي المتمثل في أن استمرار الثورة متوقف الى حد كبير على قبول الدول العربية استمرارها .

ولسنا نستطيع القول بأن الثورة مسؤولة مسؤولية كاملة عن هذا الموقف. اذ نحن لا نشك حتى الان في صحة ما كتبناه في العام ١٩٦٩ تحت عنوان " ما العمل " ونحن نتحدث عن الحركة الوطنية لتحرير فلسطين " فتح " قلنا حينئذ :

".. في الساحة منظمة ذات مقدرة متعاظمة. انها **فتح** . الجسم النامي لتلك الحفنة الرائدة من الشباب الذين غالبوا الظروف القاسية فغلبوها فخرجوا من بين انقاض المعركة الخاسرة منتصرين لمقدرة الجماهير العربية انتصارا تاريخيا . ان ذلك الانتصار قد ربط بين " **فتح** " المنظمة وبين ملايين الجماهير العربية التي انتصرت في يومين حاسمين من شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في سد طريق التراجع . كل كان مثلا للصمود العربي بطريقته بينما الاقليمية منهارة انهيارا شاملاً. وبهذا الرباط اصبحت منظمة " **فتح** " أملا تتطلع الجماهير العربية اليه، أو اصبحت عند الجماهير العربية أملها الخاص في المستقبل المنتصر.

... ولكن " فتح " النامية في احضان الجماهير العربية كانت تمثل خطرا ناميا في اتجاهات عدة. كانت تمثل أولا خطرا عاجلاً على الوجود الاسرائيلي بما هي قادرة عليه من انهاك لهذا الوجود حتى تتولى الامة العربية الاجهاز عليه. ثم كانت تمثل، ثانيا، خطرا آجلاً على الدول الاقليمية. ذلك لان **فتح** النامية المتطورة خلال تفاعلها مع الجماهير العربية الواسعة كانت قابلة لان تصبح نواة التنظيم القومى الثوري الذي تفتقده الامة العربية منذ زمن طويل .. غير أن اهتمام الدول الاقليمية لم يكن مقصورا على " فتح " اليوم بل على " فتح " الغد. " فتح " كما تتطلع اليها الجماهير العربية طليعة للثورة العربية الشاملة. وتعرضت المنظمة الناشئة- خلال عامين- لكل أنواع الضغوط والمناورات السياسية.. وقبلت " فتح " أن تحمل على كاهلها الناشىء ميراث الاقليمية الفاشلة. لقد كانت " فتح " أمام اختيار تاريخي وقد اختارت وهي مسؤولية تاريخية. ولكن هل تركت الاقليمية لمنظمة " فتح " فرصة الاختيار؟.. هذا سؤال تاريخي أيضا. لقد عرقلوا انطلاقتها اولا، ثم أوقفوها أمام خيار دقيق ثانيا، ثم حسموا الخيار لمصالح الاقليمية أخيرا، وبدلا من أن يتركوا المنظمة الجماهيرية الناشئة تكمل صياغتها من خلال الواقع الموضوعي لمعركة تحرير فلسطين، يقينا منهم بان الواقع الموضوعي سيصوغها صيغة قومية، جردها الاقليميون من امكانية التطور حتى لا تكون خطرا عليهم . فأحالوها منظمة تحرير فلسطين . ان فتح هنا ترمز الى الثورة الفلسطينية بكل فصائلها، واذا كان أحد قد شك في صحة ما قلناه في حزيران (يونيو) ١٩٦٩ فانة حتى في حدود الرؤية القصيرة يبدو ، السد الذي بنته الاقليمية داخل الثورة وخارجها قائما على طريقها وهي تتقدم ولكن على طريق مسدود .

المهم الان ، هو الاعداد لاقتحام السد .

وهذا لن يكون الا بأن تمزق الثورة الفلسطينية اطارها الاقليمي الضيق وتتحرر من الحصر الاقليمي داخلها وتحطم قيود الاقليمية خارجها لتلتحم عضويا، تنظيميا وماليا وعسكريا وسياسيا، على مستوى القواعد والكوادر والقيادة بالجماهير العربية، وبشكل محدد بالقوى القومية التقدمية في الوطن العربي بعيدا عن الدول العربية وحدودها وقيودها. أن تكون قوى الثورة موجودة ومنظمة وملتزمة ومتحركة ومناضلة في كل مكان من الوطن العربي، هي التي تمول وترغم الاخرين على التمويل، هي التي تدعم وتمنع الاخرين من التراجع، هي التي تربط ربطا موضوعياً من خلال نضالها اليومي سلامة الدول العربية ذاتها بسلامة الهدف الاسترا تيجي للثورة : تصفية الوجود الاسرا ئيلي وا ستردداد أرض فلسطين للشعب العربي .

ان هذا يقتضي من الثورة الفلسطينية ثورة أكثر اصالة وعمقا وخصوبة تولد به من جديد مولدا يلائم المخاطر التي تنتظرها على الطريق . ولسنا نجهل الصعوبات الجسيمة التي توا جه الثوار من أجل المولد الجديد ولكنا نحسب أن المصاعب هى محك الاختيار الثوري . ان المسألة ليست مجرد كلمات كبيرة تقال اليوم ولكنها نذير على أكبر قدر ممكن من الجدية يردد ما قلناه في مطلع العام ١٩٧٠ ونحن نتحدث عن المقاومة من وجهة نظر قومية " .

قلنا :

"... لننتظر ماذا بعد ازالة اثار العدوان . عندما ينفض حلفاء المرحلة ويعود حرس الحدود الى الحدود وتطرح قضايا الامن الداخلي والالتزامات الدولية عندئذ ستكون تلك المنظمات أمام اختبار دقيق . اما ان تصفى قواعدها أو تقبل تصفيتها . واما ان تستولي على قواعد في الدول العربية بالقوة المسلحة أي تدخل معارك ضد الاقليمية العربية ذاتها . ولن تكون حجتها في هذا الا أن لها حقا في الارض العربية خارج فلسطين ، أي الا اذا لاذت بالمنطلق القومي، عندئذ ستتبين كم اخطأت عندما اختارت الملاذ الاقليمي ، ولن تكون لها فرصة كسب المعركة الا اذا قبلت أن تكون للجماهير العربية حقا فيها وفي فلسطين لان ذلك هو المبرر لالتزام تلك الجماهير بتمكينها من النصر في قلب الارض العربية خارج فلسطين وعندئذ ستتبين أن الاقليمية تساوي الفشل ولو بعد حين. فان قبلت تحولت الى قوة قومية . ولا بد أن تقبل . نقول لا بد لان " الحقيقة الموضوعية لمعركة تحرير فلسطين انها معركة قومية لا تنتصر فيها الا القوى القومية. وبرغم كل قصر النظر وكل حسن النية أيضا، فان المنظمات الاقليمية الفلسطينية ستجد نفسها في وقت ليس ببعيد انها اما أن تصبح قومية واما ان تهزم.. "

الفرق بين العام ١٩٧٠ و ١٩٧٥ هو ان الثورة الفلسطينية قد اقتربت - وهي تتقدم - من نهاية المطاف وعليها أن تتمرد على ذاتها لتكون قابلة للالتحام العضوي مع القوى القومية التقدمية ايذا نـاً بمولد الثورة العربية. وبكل الاخلاص الصادق الذي لا نملك غيره- الآن- نقول ان مرحلة " الثورة الفلسطينية " قد اوشكت على نهايتها وحققت فيها اقصى ما تسمح به طاقاتها وظروفها الاقليمية وعليها أن تعد نفسها من الآن لتكون جزءا عضويا من متطلبات المرحلة المقبلة : الثورة العربية.

ان مسؤولية هذا الميلاد التاريخي لا تقع على الثورة الفلسطينية وحدها وان كانت تتحمل قدرا كبيرا من المسؤولية، أما باقى المسؤولية فتقع على اولئك الذين يطيب لنا الحديث عنهم تحت عنوان "القوى القومية التقدمية ". وسنتحدث عنهم واليهم قريباً .

-٣-

... بكل الاخلاص الصادق الذي لا نملك الان غيره نقول : ان مرحلة " الثورة الفلسطينية " قد اوشكت على نهايتها وحققت فيها أقصى ما تسمح به طاقاتها وظروفها الاقليمية وعليها أن تعد نفسها من الان لتكون جزءا عضويا من متطلبات المرحلة القادمة : الثورة العربية.

لا يكفي لهذا الاعداد أن تطور الثورة الفلسطينية أدواتها ومؤسساتها وعلاقاتها الداخلية بحيث تسمح بتحويلها الى أدوات ومؤسسات وعلاقات قومية. كما لا يكفي القبول الاعلامي آو الدعوة الفكرية اليه. أهم من هذا كله أن تتحول الكلمات الى افعال . ان تتحول الدعوة الى ممارسة. فبهذا- قبل كل شيء- تولد الثورة الفلسطينية ميلادا جديدا من رحم الامة العربية فتصبح جزءا عضويا من الثورة العربية.

كيف؟

بالممارسة الثورية على امتداد الوطن العربي دفاعا عن قضايا الشعب العربي كله اعني على وجه التحديد ان تتحرر الثورة من استقلالها الاقليمي الذي لا جدوى منه .

لقد عملت القوى الاقليمية في الوطن العربي ، وأعداء الامة العربية في العالم كله، منذ أكثر من ربع قرن على التركيز ضيّق الافق على قضية تحرير فلسطين . ركزوا عليها كما لو لم تكن ثمة أرض مغتصبة أو محتلة الا أرض فلسطين . وركزوا على قضية المشردين العرب من أرض فلسطين كما لو لم يكن في الوطن العربي مشردون الا من ارض فلسطين . اما الحق فهو ان قضية تحرير فلسطين : استرداد ارضها للشعب العربي المشرد منها، قضية كانت وما تزال تستحق اضعاف ما بذل من اجلها من جهد ولكن الباطل الذي أبقوه في الظل هو فصم العلاقة بين قضية تحرير فلسطين والقضايا القومية الاخرى عن طريق النزول بالقضايا القومية الاخرى الى الدرجة الثانية أو العاشرة بحجة أن الاولوية يجب أن تكون لقضية تحرير فلسطين . ان هذا يعني أن قضية تحرير فلسطين منفصلة عن القضايا القومية الاخرى ، بحيث يمكن أن يتحقق نصر فيها غير متوقف على الانتصار في القضايا الاخرى . أو يعنى انه يمكن أن يتحقق النصر في قضية تحرير فلسطين بدلا، أو على حساب، النصر في القضايا القومية الاخرى .

وكل هذه أوهام باطلة .

أما انها وهم غايته فيما ينتظر الثورة الفلسطينية وهي تتقدم الان على طريق مسدود . وتقوم الف "لو" تعبيراً عن الخطأ الذي ارتكبه الاقليميون منذ ربع قرن واستدرجوا اليه الثورة الفلسطينية وحصروها فيه.. " لو " كانت الجماهير العربية متحررة" " لو " كانت الامة العربية موحدة وفي يدها كل هذا البترول تدخل به ميدان الصراع لا ميدان الكسب . " لو" كانت الجماهير العربية منظمة" لو " كانت فلسطين ما تزال جزءا من الشام .. " لو.. لو" لسحقت الثورة دولة اسرائيل بضربة عسكرية واحدة ، أو لصفتها في جولة دبلوماسية واحدة . أو على الاقل - لما شعرت الان بانها تتقدم على طريق مسدود.

ان الايجابي في كل تلك الاماني انها دروس مستفادة من حصيلة النضال الاقليمي . ومع ان الماضي لا يمكن إلغاؤه والعودة الى البدا ية الاولى الا أن الدرو س المستفادة منه يمكن أن تطور المستقبل تطورا يعوض ما فات ويختصر فترة المعاناة . من الدروس المستفادة أن تحرير الجماهير العربية من القهر السياسي والاقتصادي الذي يشل حركتها في اماكن كثيرة من الوطن العربي هو من صميم الشروط الموضوعية لتحرير فلسطين . من الدروس المستفادة أن التحام تلك الجماهير في منظمة ثورية قومية غير مجزأة اقليميا هو من صميم الشروط الموضوعية لتحرير فلسطين . من الدروس المستفادة ان " دولة الوحدة "- النواة أو الشاملة- هي من صميم الشروط الموضوعية لتحرير فلسطين .

اذن، فحيث يقهر الشعب العربي سياسيا أو اقتصاديا ثمة معركة يجب أن يخوضها المناضلون من أجل تحرير فلسطين . وضد الاقليمية بكل مضامينها الفكرية والسياسية والادبية وحتى الفنية يجب أن يقاتل المناضلون من أجل تحرير فلسطين ، لان ذلك هو " الطريق " الى تحرير فلسطين وكل طريق غيره مسدود بسدود الاقليمية.

ولنأخذ مثلاً لا يستطيع احد ان ينكر واقعيته : الاستعمار الامريكي .

لا ينكر احد حتى عملاء الولايات المتحدة الاميركية والمتعاملين معها انها المسؤولة الاولى عن اقامة دولة اسرائيل على الارض الفلسطينية وعن تشريد العرب من ارضهم ، وعن ابقاء دولة اسرائيل " حية " حتى اليوم بما تقدمه لها من غذاء مالي واقتصادي ودولي، وانها- أي الولايات المتحدة الاميركية- هي

التي تحول دون هزيمة اسرائيل هزيمة تسحقها لو تركت لقوتها الذاتية، وانها اي الولايات المتحدة الامريكية - هي التي تزيد فتضع تحت تصرف اسرا ئيل القوى الدولية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والبشرية التي مكنتها من أن تهزم الدول العربية سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وتصّد هجومها في ١٩٧٣ وتفتح الثغرة غرب القناة وتعود الى المرتفعات السورية وهي- اي الولايات المتحدة الامريكية- التي تقدم لاسرا ئيل الدعم المالي والاقتصادي والفني والدولي لبناء المستعمرات في الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ وتهويد الارض العربية او محاولة تهويدها ، وتعوق ا لمجهودات الدولية الى ان تستقر اسرائيل في الارض . وهي- أي الولايات المتحدة الامريكية- التي حولت اسرائيل منذ ١٩٧٣ الى ترسانة اسلحة معقدة ومتطورة اخذتها لا من الفائض الاميركي بل من مخازن القوات المسلحة الامريكية ذاتها .

لا ينكر احد هذا ويتحايلون عليه بالصمت تارة او بالرجاء غير الواقعي ان تكون الولايات الامريكية قد غيرت سياستها في " الشرق الاوسط " بعد أن وهبها الله الدكتور هنري كيسنجر أو بعد ان عرفت من امر الجندي العربي وبسالته ما كانت تنكره وليس من المستبعد ابدا- مع ثبات تلك السياسة- ان تغير الولايات المتحدة الامريكية اسلوب ممارسة تلك السياسة. والواقع ان الدكتور هنري كيسنجر يمثل مرحلة هامة في تغيير " اسلوب " ممارسة الولايات المتحدة الامريكية سياستها في الشرق الاوسط وفي العالم كله فالدكتور هنري كيسنجر استاذ " البراجماتية " السياسية . انه ضد المبادىء العامة التي تحدد لصاحبها اساليب الممارسة المتفقة معها . ولكنه " نفعي " يحقق غاياته جزءآ جزءآ من خلال تغيير الواقع جزءا جزءا بدون أن يجد من حركته بخطط استراتيجية طويلة الامد . ولكن الغايات تبقى كما هي . وهي في التحليل الاخير الحفاظ وتنمية المصالح الامريكية في الوطن العربي (او في العالم) . غير ان المصالح الامريكية في الوطن العربي لا تنحصر في قيام دولة اسرائيل . بل نستطيع ان نقول ان قيام دولة اسرائيل ودعمها اقتصاديا وعسكريا لا تمثل بالنسبة الى الولايات المتحدة الامريكية الا مصلحة تابعة لمصالحها الاصلية. ان دولة اسرائيل تقوم " كلب حرا سة " امريكي في الوطن العربي تحرس التجزئة والتخلف وتحرس النشاط الا قتصادي والمالي والثقافي والدعائي للولايات المتحدة من هنا فان تغذية وتقوية وشحذ انياب " كلب الحراسة" مرجعه الى الموضوع الذي يحرسه وليس الى هواية تربية الكلاب .

اين توجد هذه المصالح الامريكية وكيف تتجسد؟

انها لا توجد في ارض فلسطين وحدها بل هي موجودة على طول الوطن العربي وعرضه . لا تكاد تخلو ارض عربية من مصالح اميركية مالية او اقتصادية او عسكرية او ثقافية وتتجسد تلك المصالح في علاقات تبعية واضحة او خفية تربط الدول المعنية بالولايات المتحدة ماليا او اقتصاديا او عسكريا او ثقافيا، بحيث لا تستطيع- مهما بلغت طهارة وارادة الحاكمين فيها- ان تصوغ حياة الجماهير على الوجه او الى المدى الذي لايتفق مع تلك العلاقات . وتترك تلك العلاقات عادة هامشا يختلف اتساعا من دولة الى دولة تستعرض فيها الدولة بدون مساس بعلاقة التبعية استقلالها عن الولا يات المتحدة الامريكية ويمثل المجال الاعلامي والدعائي في بعض الدول العربية هامشا عريضا لاستعراض الاستقلال و " التحرر " .

غير انه مهما اتسع الهامش الدعائي ومهما ملأه الضجيج فانه لا يخفى عن الجماهير العربية الواقع الموضوعي الذي تعانيه في حياتها اليومية من علاقة التبعية للولايات المتحدة الامريكية. ذلك لأن الجماهير تدرك عن طريق الحياة اليومية الملموسة، وبدون حاجة الى " تحليل فكري ان انحدار مستوى المعيشة بالرغم من اكتشاف مزيد من مصادر الثروة ومزيد من الانتاج ، وتدهور القيمة الشرائية لدخولها النقدية المحدودة اصلاً ، والغلاء المستمر الذي يقفز يوما بعد يوم ومزاحمة الرأسماليين لها في حاجاتها الضرورية، وتعلق مقدرتها على وجبة " غذا ئية " من اللحم مثلا بارتفاع سعر الدولار

الامريكى او انخفاضه وموجة اغراق سوقها القومي بالسلع الاستهلاكية الترفيهية.. تدرك ان كل هذا لا يمكن ان يكون مرجعه الى جهل الحاكمين او خياناتهم بل لا بد ان تكون له اسباب موضوعية لا يستطيع الحاكمون مغالبتها اعني تدرك انه مع زيادة الثروة القومية والفقر معا وعجز الحكام عن توجيه الثروة الى حيث تحتاجها- الجماهير لا يمكن ان يرجع الا ان "ثمة" مصالح اجنبية تتحكم في " الثروة وانتاجها وتوزيعها في الحكام انفسهم بالرغم حتى من حسن نوا ياهم . فتكتشف الجماهير- من مجرد المراقبة لما هو محسوس- ان المصالح الامريكية وراء ما تعانيه في حياتها اليومية وتخرج من هامش الاستقلال الدعائي الى حيث تدرك علاقة التبعية المفروضة عليها وتعي وعيا صحيحا لماذا تحتفظ الولايات المتحدة الامريكية في الارض العربية بكلب حراسة تغذيه وتنميه وتشحذ انيابه وتسميه اسرائيل .

وعندما تتململ الجماهير او تتمرد او تثور يعوض الحكام " عقدة الذنب " بالبطش . اذ يبدو للحكام ان تململ الجماهير او تمردها أو ثورتها أمر" غير طبيعي " و " غير مقبول " ما داموا هم لم يقصروا . مع ان المسألة ليست مسألة تقصير ثابت ولا مسألة اتهام بتقصير، المسألة هي ان الجماهير- الناس العاديين- لا يستطيعون الاستمرار في الحياة كما هي قائمة الان في الوطن العربي ويرون انها لا بد ان تتغير حتى لو لم يعرفوا كيف تتغير، وان كانوا يعرفون معرفة اليقين انهم لا يستأثرون لا نفسهم بكل الثروات المادية والبشرية المتاحة في امتهم العربية، بل تستأثر بقدر كبير منها الولايات المتحدة الامريكية وتقيم اسرائيل حارسا لما تستأثر به. وتردد الجماهير العربية- الناس العاد يين- مقولات تبدو بسيطة وساذجة في حين انها خلاصة أي تحليل علمي لما يجري في الوطن العربي . يقولون وهم يسمعون بالمبالغ الجسيمة التي تمنحها بعض الدول العربية قروضا للدول الرأسمالية الحليفة للولايات المتحدة الامريكية، وبالمبالغ الجسيمة التي تشتري بها بعض الدول العربية عقارات وا سهما في مصانع وشركات وبنوك في جميع اطراف الارض وان كانت بنوكا او شركات ومصانع اميركية او مشتركة بين الاميركيين وغيرهم وبالمبالغ الجسيمة التي تشتري بقاعا كاملة من الارض لتقيم عليها المصايف تشجيعا للسياحة قرب الشواطىء الامريكية وبالمبالغ الجسيمة التي تدفعها الدوائر الامريكية والرأسمالية رشاوى وسمسرة للرأسماليين العرب ليمكنوا لها من المال العربي .. تقول الجماهير : السنا اولى من اعدائنا ؟ اليس عمال ا بو زعبل اولى من عمال مرسيدس؟ اليس اللاجئون بدون مأوى في حمص واللاذقية والقناة اولى من الشركات العقارية في لندن وباريس وجنيف؟ اليس الفقراء اولى من الاغنياء؟... ان كان المسيطرون على الثروات العربية قد فقدوا حتى التمييز بين القتلة والضحايا وهو قول حق في بساطته وفي تأصيله العلمي .

فما تفعله بعض الدول العربية بأموال وثروات الشعب العربي ليس اكثر ولا اقل من تصحيح موازين المدفوعات للدول الرأسمالية لتقوية بنيتها الاقتصادية، لتثبيت عملتها، لمنع افلاس منشآتها لمحاربة البطالة فيها.. باختصار للمحافظة على المعسكر الرأسمالي الامبريالي والمد في أجله وحمايته من الانهيار. والعمود الفقري للمعسكر الرأسمالي الامبريالي هو الولايات المتحدة الامريكية. فالدول العربية عن طريق التمويل والتبادل وفتح الا سواق العربية لا تفعل اكثر او اقل من دعم الولايات المتحدة الامريكية ماليا واقتصاديا وحمايتها من الانهيار.

ولا نقول ان أحدا من الحكام العرب يخون وطنه أو امته ولا نقول ان أحدا منهم سفيه لا يعرف ماذا يفعل بأموال الشعب العربي التي وضعتها الاقليمية تحت تصرفه، ولا نقول ان احدا منهم يجهل انه يمد حياة الدول التي احتلت امته دهرا واستزفت قواها الاقتصادية وامتصت طاقاتها البشرية واذلت شعبها وقتلت أبناءها ووضعت السلاح في ايدي الذين اذلوا الشيوخ واغتالوا الشباب وبقروا بطون النساء وشردوا الاطفال.. وا غتصبوا الارض وا قاموا عليها دولة اسرائيل .

بل نقول ان الوطن العربي في حالة تبعية للولايات المتحدة الامريكية، وان الولايات المتحدة الاميركية ا قامت دولة اسرا ئيل وتدعمها للحفاظ على هذه التبعية، وان الدول العربية عاجزة عن ان تتحرر من هذه

التبعية بل انها تحت تأثير القوى الرجعية العربية شريكة الاستعمار الامريكي- تدعم وتحافظ على هذه التبعية. وان الجماهير العربية- الناس العاديين- يلمسون هذا ويحسونه من معاناتهم اليومية.

ان الثورة الفلسطينية في اطارها الاقليمي- في المنطلقات والغايات والاسلوب كانت وما تزال تناضل في جبهة فلسطين . وفي تلك الجبهة من ساحة المعركة كانت وما تزال تواجه اسرائيل "كلب الحراسة". ولم يكن في ذلك بأس لو ان الاختيار الاقليمي كان تطبيقا لتقسيم النضال والمناضلين على جبهات متعددة على مدى ا لساحة العربية كلها . ولكن الامر جرى ويجري على غير هذا. فمنذ ربع قرن والقوى الاقليمية تركز الضوء على مشكلة فلسطين لتبقى في الظل والظلام مشكلات الجماهير العربية الاخرى ، وبينما كان ا بطال الثورة الفلسطينية من المقاتلين يواجهون اسرا ئيل ويوجهون الى كلب الحراسة ضربات موجعة تردد صداها فتبالغ في اثارها اجهزة الدعاية والاعلام في الدول العربية، كان الامداد المالي والاقتصادي والعسكري وحتى الدعائي يصل الى اسرائيل " من جبهات الظل " خلال قنوات التبعية للولايات المتحدة الامريكية ومصالحها في الوطن العربي . ان ثروات الوطن العربي تغادره بالف اسلوب واسلوب ، من اول الخوف من الشيوعية الى اخر صداقة " العالم الحر " وما بينهما من متاجرة ، ومقامرة ومغامرة وسمسرة، لتتحول في ترسانات " العالم الحر" الى اسلحة وفي بنوكه الى اموال تعود عن طريق الولايات المتحدة الى اسرائيل لتواجه بها الثورة الفلسطينية.

وهكذا اسفر الواقع الاقليمي التعس الذي حصرت الثورة الفلسطينية نفسها فيه او حوصرت فيه عن حقيقة جديرة بان تفزع كل شريف من الوطن العربي وتحرض على الثورة كل قادر عليها في الوطن العربي الكبير : ان العرب يقاتلون انفسهم في معركة تحرير فلسطين . العرب من فلسطين وثورتهم في مواجهة الصهاينة تدعمهم امريكا باموال وثروات العرب.

ليس كل هذا الا مثلا من الاستعمار الامريكى الجديد .

ونستطيع ان نضرب امثلة من كل مجال وكل قضية.

نستطيع ان نضرب امثلة من قضية الاستبداد الذي حال ويحول دون ان يلتحق الشباب العربي - الا باذن الدول - بالمقاتلين في صفوف الثورة الفلسطينية. نستطيع ان نضرب امثلة من قضية التحرر الاجتماعي حيث يحول الرأسماليون في الوطن العربي دون ان تبلغ معركة تحرير فلسطين الحد الذي يقطع خيوط التبعية المالية والاقتصادية التي تربطهم بالرأسمالية العالمية التي تقودها الولايات المتحدة الاميركية.

نستطيع ان نضرب تلك الامثلة وغيرها لنؤكد حقيقة موضوعية واحدة : ان معركة تحرير فلسطين ليست الا جزءا من معركة الجماهير العربية في الوطن العربي كله ضد الاحتلال والاستبداد من اجل الحرية. ضد التجزئه الاقليمية من اجل الوحدة . ضد التخلف والاستغلال من اجل التقدم الاجتماعي في هذه المعركة الشاملة لا أحد يستطيع ان يقف على الحياد لانه لا يسمح لاحد بان يقف على الحياد . فإما مع الجماهير العربية المقهورة المجزأة واما مع اعدائها صحيح ان لكل معركة مضمونها المرحلي وقواها المناضلة وتكتيكها ولكن ذلك هو شأن الفرق والألوية والكتائب والفصائل متنوعة الاسلحة والمهمات والخدمات في الجيش المقاتل الواحد. وكما أن ضرب سلاح الطيران مبكرا سنة ١٩٦٧ قد ادى الى هزيمة الجيش البري والبحري، وكما ان هزيمة سلاح المخابرات الاسرائيلي مبكرا سنة ١٩٧٣ قد ادى الى هزيمة اسلحة الجيش الصهيوني الاخرى، وكما ان سلامة خطوط الامداد لازمة لاستمرار الجيوش في القتال.. كذلك الامر بالنسبة الى معركة تحرير فلسطين ان النصر النهائي فيها، متوقف على النصر في معارك التحرر العربي من الاستعمار القديم والجديد . على تحرير الشعب العربى من القهر السياسي و الاستغلال الاقتصادي . على هزيمة الاقليمية و تحقيق الوحدة . باختصار

متوقف علـى ان تحمـل الثـورة الفلـسطينية مـن الان و علـى ضـوء دروس الماضـي علـى الا تقـول بعـد مرحلة قادمة " لو"... مرة أخرى .

لا يكفي- في هذا- كما قلنا ان تطـور الثـورة الفلسطينية ادواتهـا ومؤسساتها وعلاقاتهـا الداخليـة بحيث تسمح بتحويلها الى ادوات ومؤسسات وعلاقات قومية. كما لا يكفي القبـول الاعلامـي أو الـدعوة الفكريـة اليه. أهم من هذا كله ان تتحول الكلمات الى افعال . ان تتحول الدعوة الـى ممارسـة. وهذا يعنـي- بـاكبر قدر من الوضوح - أن تدفن الثورة الفلسطينية شعارها الذي لا مضمون له " استقلالها عن الدول العربية او استقلال الدول العربية عنها ". والشعار المثالي الهروبي المفروض عليها : "مسؤولية شعب فلسطين عن تحرير فلسطين " ثم تخوض معركة تحرير فلسطين على اتساعها وعمقها الموضـوعيين . الاتـساع القومي والعمق القومي . وأن تكون جزءا لا يتجزأ، وقوة مناضلة، في كل ساحة عربيـة مـع الجمـاهير العربية ، من اجل قضاياها القومية وفي ساحات الممارسة ومخاطرها سيتم اللقاء بـالقوى الجماهيريـة القوميـة التقدميـة التـي استقلت عنهـا الثـورة الفلـسطينية طـويلا فاسـتقلت هـي عـن الثـورة الفلـسطينية . وسيكون اللقاء في ساحات الممارسة ومخاطرها والالتحام في وهج نيران هو الطريق الـصحيح الـذي تولد به الثورة من جديد، متجاوزة مرحلة ، الثورة الفلسطينية " الى " الثورة العربية ".

ان الثورة لن تخسر بهذا الا الاقليمية المترددة المتخاذلة ولكنها ستكسب الامة العربية وجماهيرها القادرة وحدها على تحقيق التزامها بالشعار المرفوع " ثورة حتى النصر " .

-٤-

... على الثورة الفلسطينية ان تدفن شعارها الذي لا مضمون له " استقلالها عن الدول العربيـة واسـتقلال الـدول العربيـة عنهـا " . والـشعار الثـاني الهروبـى المفـروض عليهـا " مـسئولية شـعب فلـسطين عـن تحريرفلسطين " ..

ولكن الثورة الفلسطينية ستواجه حينئذ " عقدة العقد " التـي تعوق الشعب العربـي منذ خمسين عامـا عـن التحـرر والتقدم المتكـافىء مـع المـوارد الماديـة والبـشرية المتاحـة فـي امتـه. سـتواجه جـراثيم العبوديـة والتخلف التي ما تزال تسمم حياة الشعب العربي وتكاد تشل مقدرتـه على التقدم ستواجه الـدول العربيـة بكل ما تملكه الدول العربية من قوى اقتصادية واعلاميـة وعسكرية بكل شرطتها ومحاكمهـا وسـجونها بكل حدودها وقيودها. فهل تـستطيع الثـورة الفلـسطينية ان تواجـه كل هذه القوى بالاضـافة الـى اسـرائيل ومن وراء اسرائيل؟...

نعم لسببين :

الاول : ان الـدول العربيـة وان كانـت كلهـا مؤسـسات اقليميـة معاديـة- مـن حيـث هـى مؤسـسات لوحـدة الجماهير العربية ووحدة الوطن العربي ، وبالتالي عاجزة او معوقة لتحرير فلسطين ، الا ان هذه الهويـة المعادية لا تتطابق او تتفق دائما مع هوية الحاكمين فيها ان هذه المفارقة جديرة بانتباه كل الذين يحلمـون بتغير الوا قع العربـي او يعملـون من اجل تغييره . ذلك ان الدولـة من حيث هـي مؤسسة عبـارة عن هيكل متكامل من الاوامر والنواهي تنتظم في مجموعة كثيرة من النصوص القانونيـة اعلاهـا الدسـتور واقلها الاوامر الادارية وما بينهما من قوانين ولـوائح . كل هـذه النـصوص ملزمـة للحـاكمين فـي الدولـة ولرعاياهـا ايضا . وكلهـا محـدودة النفـاذ بـالاقليم الـذي تقـوم عليـه الدولـة. وكلهـا تحمـي مـصالح ماليـة واقتصادية وثقافية هي المضامين العينيـة التـي شرعت تلك النـصوص لحمايتهـا. وكـل هـذا اقليمـي ولا يمكن الا ان يكون اقليميا . بمعنى ان الدولة لا يمكن ان تتجاوز في سيادتها الاقليم الـذي تقوم عليـه، ولا

يمكن ان تتجاوز في رعايتها من يحملون هويتها السياسية ولا يمكن ان تتجاوز في ارادتها مصالحها الاقليمية.

ولكنا نعرف ان هذا الواقع الاقليمي الذي تجسده الدولة وتستقل به وتعزله " سياسيا " ليس مستقلا ولا معزولا " موضوعيا " عن الواقع القومي الذي هو جزء منه. وهكذا يكون لكل وا قع ا قليمى مضمون قومي . وبينما تقوم الدولة بتجسيد ورعاية وحماية هذا الواقع من حيث هو اقليمي، لا يكف مضمونه القومي عن التأثير فيه والتأثر به . من هنا تعجز أية دولة عربية عن التزام كيانها كدولة. تعجز عن التحصن ضد التأثر بالاحداث القومية . وتعجز عن كف تأثيرها في الاحداث القومية. وكلما أثرت دولة عربية او توهمت، امكان التقوقع في حدودها فرضت عليها الوحدة الموضوعية لمشكلات الامة العربية الخروج من قوقعتها او اقتحمت عليها الحدود لتخرجها . هذا الواقع " ا لقومي – الاقليمي " المتداخل في كيان الدول العربية ينعكس في وعي حكامها فلا يستوون . فمنهم من يعي فشل الحصر الاقليمي حتى في حل مشكلات الحياة اليومية في دولته فيتطلع الى الجانب القومي من تلك المشكلات محاولا تعويض " عجز " الاقليمية المتجسدة في دولته، اما عن طريق الممارسة القومية (المحدودة) أو عن طريق الدعوة الى التعاون والتفاهم والتقارب محتجا بوحدة المصير العربي والاخوة العربية ... الخ.. ومنهم من يسخر دولته وقوى البطش فيها لتأكيد عزلتها الاقليمية وحمايتها. ولما يتحول العجز الاقليمي الى متاعب سياسية أو اقتصادية يلجأ الى الدول الاجنبية ليبيعها " حرية" الدولة ذاتها في مقابل ما تمنحه من معونات سياسية أو اقتصادية. الشيء الذي يتفق فيه كل الحاكمين في الدول العربية هو" عجزهم " عن الغاء دولهم لحساب الدولة القومية (الوحدة) .

اذن فان اسقاط شعار " الاستقلال " عن الدول العربية لا يعني حتماً ان تدخل الثورة معارك تصادمية ضد حكامها وان كان لا تستبعد دخول تلك المعارك ضد الحكام المعادين لوحدة الشعب العربي ووحدة الوطن العربي وبالتالي معادين موضوعيا لتحرير فلسطين . بعكس هذا تقوم- حاليا- فرصة تاريخية لمواجهة كثير من الدول العربية عن طريق انقاذ حكامها من المآزق الاقليمية التي تعجز دولهم عن الخروج منها.

واوضح مثل على هذا ما حدث ويحدث منذ حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣.

فالواضح الان ان دول المواجهة- مثلاً- قد بذلت من اجل تحرير أرضها المحتلة- بعد سنة ١٩٦٧ تضحيات بشرية واقتصادية ومالية ونفسية تتجاوز بمراحل مقدرتها الذاتية . وجاء الفرق بين ما بذل وما تقدر عليه اصلا اضافات ستتحملها الاجيال القادمة بعد أن كاد الجيل الحاضر أن يستنفذ آخر سعر حراري في جسمه الحي . وبالرغم من الارادة ، والتصميم، والتخطيط، والبذل، والتضحية، تجد تلك الدول نفسها بعيدة عن هدف " تحرير الارض " التي احتلت بعد ١٩٦٧. كما تجد نفسها في حالة احباط اقتصادي ونفسي، اقتصادي من فرط التضحيات ونفسي من فرط " لا مبالاة " الدول العربية الاخرى التي حولت دماء الشهداء في ساحة النضال الى مصدر استثمار ضاعفت به ثروتها عدة مرات . هذه المشكلة المزدوجة تفتح للثورة مجالا واسعا للتخلص من شعارها " الاستقلال " عن الدول العربية.

ان الاستقلال هنا يعني الموقف الموحد بالنسبة الى حكام كل الدول العربية بدون تفرقة بين مواقفهم من معركة تحرير فلسطين وهذا بدوره يعني ا نضمام " الثورة " نفسها الى فريق " اللامبالاة " الذي يقفه المنتفعون من المعركة من الدول العربية التي ضحت وما تزال تضحي سواء كانت من دول المواجهة العسكرية أو من غيرها. والتناقض القائم حاليا بين الدول المنتفعة من المعركة والدول المضحية من اجل المعركة ينعكس في حقيقة التناقض الاصلي بين قومية المعركة واقليمية الدول . هذا التناقض لا يمكن ان تحله الدول العربية لانها هي ذاتها طرف فيه من حيث هي مؤسسات اقليمية. لا يملك حكامها في

اطار استقلالها بنفسها عن الغير واستقلال الغير عنها، الا المساومة والاقتراض وحتى الاستجداء من الذين احتموا باستقلالهم الاقليمي للاستئثار بمنابع الثروة في الوطن العربي.

هنا يأتي دور الثورة .

فالثورة من حيث هي قوة بدون دولة غير ملزمة لا بالوقوف سلبيا من أية دولة عربية أو ما تعانيه ولا بعدم التدخل في شؤون أية دولة عربية أو ما تنتفع به من وراء معارك التحرير . ويكون على الثورة واجبان أساسيان :

١- الوقوف بحزم وحسم وبكل الوسائل الممكنة المتاحة للثوار وقد لا تكون متاحة للحكام مع حكام الدول العربية في معركة تحرير ما احتل من أرض بعد ١٩٦٧. في المجال الدعائي وفي المجال السياسي وفي المجال العسكري يجب أن تجد الحكومات التي تقود شعوبها من ا جل تحرير أرض دولها مساندة كاملة من الثورة . ونخص بالذكر المجال العسكري . لقد كانت الارض المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ أرضا " مغلقة " تماما أو الى حد كبير في وجه النشاط الثوري . كانت الدول المعنية- حينئذ- خارج نطاق التحالف العسكري مع الثورة . الان هى ليست كذلك. ولن تكره أية دولة عربية أو حتى تقدر على، منع الثوار من توجيه ضرباتهم الى حيث يوجد الصهاينة على الأرض المحتلة ان هذا وجه من أوجه تجاوز الثورة اقليميتها وشمول معاركها التحررية الارض العربية داخل وخارج فلسطين .

٢- الوقوف بحزم وحسم وبكل الوسائل الممكنة المتاحة للثوار وقد لا تكون متاحة للحكام ضد موقف " اللامبالاة " الاستغلالي ، الانتهازي الرخيص، الذي تقفه بعض الدول العربية المنتفعة بالمعارك من تضحيات الشعب العربي في الدول الاخرى .

ان " الاقليمية " التي تفرضها الثورة على نفسها فترضى من الحكومات التي اثرت من وراء المعارك بمعوناتها الهزيلة " للثورة " مقابل استقلالها عن المشكلات التي يعانيها الشعب العربي في دول عربية " واللامبالاة " التي تقفها دول عربية أخرى من هذه المشكلات ليست الا إفساداً للثورة نفسها. ذلك لان ما يعطى للثورة نظير استقلالها ليس الا رشوة . رشوة منافقة ويتعين على الثورة أن تتولى هي تبني ، والدفاع عن ، حق الجماهير المضحية في ثروات وطنهم العربي . أيان كان المضمون وأيان كانت الثروة . ولن تكره أية دولة عربية أو حتى تقدر على، منع الثوار من ارغام المنتفعين من معارك التحرير على المشاركة في تضحيات الشعب العربي أو تعويض خسائره ان هذا وجه ثان من أوجه تجاوز الثورة اقليميتها وشمول معاركها التحررية الشعب العربي داخل وخارج فلسطين .

الثاني : واضح من السبب الاول ان ثمة ظروفا واقعية تسمح للثورة بالتخلي عن " استقلالها " الاقليمي ومد نشاطها على ابعاده القومية بدون أن يؤدي هذا الى تصادم عدائي مع بعض الدول العربية. ولكن هذا الظرف الواقعي هو ظرف " مرحلي " أيضا . معنى هذا انه يخلخل " عقدة العقد" ولكن لا يحلها. وعندما تعود- ان عادت- الدول العربية الى حدودها ستدير ظهرها للسد وتواجه الثورة من موقفها الاقليمي الاصيل فهل تستطيع الثورة حينئذ أن تواجه كل تلك القوى؟ قلنا: نعم لسبب ذكرناه. أما السبب الثاني فهو ان الثورة التي تكون خلال الوقت القليل المتبقى بين موقعها الان والسد الذي ينتظرها على الطريق قد:

أ- أدركت منذ الان الخطر الذي يهدد مصيرها وهي تتقدم على طريق مسدود.

ب- فعملت منذ الان على تغيير ظروفها الداخلية فوجدت أداتها في بناء ديموقراطي تؤجل فيه الصراع الدائر حول المنابع الفكرية والاهداف الاستراتيجية البعيدة .

جـ – ومزقت اطارها الاقليمي الضيق فالتحمت، تنظيميا وماليا وعسكريا وسياسيا، على مستوى القواعد والكوادر والقيادات بالجماهير العربية، وبشكل محدد بالقوى القومية التقدمية في الوطن العربي بعيدا عن الدول العربية وحدودها وقيودها .

د- وكان التحامها غير مقصور على الدعوة الفكرية أو الدعاية الاعلامية بل عن طريق الالتقاء والالتحام في معارك الجماهير العربية حيث تدور تلك المعارك ، ومن أجل غاياتها حرية أو ديموقراطية أو ا شتراكية أو وحدة .

هـ- فاسقطت استقلالها عن الدول العربية واستقلال الدول العربية عنها، فحددت موقفها كحليف للدول العربية التي خاضت معارك التحرير أو ضحت في ميدانها ضد دول " اللامبالاة " المنتفعة من معارك التحرير المستغلة لثروات الشعب العربي فيها .

الثورة الفلسطينية التي تكون قد فعلت كل هذا ستكون قادرة- في اللحظة الحاسمة- على موا جهة كل الدول والقوى التي تقيم الان على طريقها سدا يحول بينها وبين الاستمرار في مسيرتها حتى "النصر" النهائي . حتى ازالة دولة اسرا ئيل وا سترداد أرض فلسطين للشعب العربي . ذلك لانها تكون خلال الممارسة قد ولدت من جديد . تكون " الثورة الفلسطينية " قد أنهت مرحلتها بنجاح مرموق وبدأت " الثورة العربية ".

ليس حلما على أي حال . انه العلم لا شيء غيره. ان بدا لبعض الناس أكثر مما تطيقه الظروف "الموضوعية " للواقع العربي الراهن ، فلأن الثورات تتعامل مع الواقع لتطويره لا لقبوله؟ الثورات لا تتابع- من موقع الذيل- حركة الواقع في تغييراته التلقائية بل تقحم ارادتها لتطوير الواقع على ما تريد مستفيدة في ذلك بذات القوانين التي تحكم حركته. الثورة معاناة انسانية هائلة من اجل اختصار زمن المعاناة واهواله وان بدا لبعض الناس اكثر من ما تطيقه الظروف الذاتية للثورة الفلسطينية. أعني ان الواقع " الذاتي " للثورة الفلسطينية يحول دون أن تولد من جديد في رحم الثورة العربية فلسنا نستطيع أن نقول الا ما قلناه عام ١٩٦٨ تحت عنوان " وحدة القوى العربية التقدمية،،.

قلنا:

" ... ان ذلك متوقف على موقف المناضلين في سبيل تحرير فلسطين . انهم- أرادوا أم لم يريدوا- في موقع اختبار " تاريخي " فاما أن يكونوا نواة حركة ثورية عربية واما أن يكونوا " حركة تحررية فلسطينية. وفي أيديهم أن يختاروا لانهم في البداية وفي أيدي القوى العربية التقدمية أن تأخذ أماكنها من معركة النضال الثوري في الارض المحتلة فتحسم الخيار لمصلحة الثورة العربية .

" وهناك من خلال المعارك الحية تستطيع أن تنسج وحدتها.

" انها فرصة تاريخية سيدفع الذين يضيعونها على الامة العربية ثمنا غاليا. والامر بعد ليس بما يقال ويعلن ولا حتى بالمقدرة القتالية ولكنه متوقف على ما اذا كانت حركة المقاومة في الارض المحتلة تجسد شكلا ومضمونا الثورة العربية. على مقدرتها على أن تكون بذرة تحتوي في ذاتها كل امكانيات النمو الثوري العربي كما تحتوي البذرة كل عناصر الشجرة الباسقة.

" ان هذا لا يعنى ان تتخلى الجماهير العربية عن مساندة المقاومة في الارض المحتلة ولو ظلت- كما اسميت للاسف- مقاومة فلسطينية تحت تأثير ارهاب القوى التي لا تريد لها أن تكون مقاومة عربية. بل ان الامة العربية كلها وراء المقاومة والثورة. كل ما في الامر اننا نتمنى للابطال المقاتلين في الارض المحتلة ان يتجاوزوا شكلا ومضمونا حدود الممكن ليجسدوا شكلاً ومضمونا ما يجب أن يكون . والا فان انتصارهم الذي لا بد منه سيكون نصرا في معركة عربية ويتبقى على القوى العربية التقدمية مسؤولية تحقيق النصر العربي . ا قامة دولة الوحدة . وبعد فان أرفع تحية للابطال أن نكون معهم صادقين " .

ولقد كنا معهم صادقين فدفعوا أثماناً فادحة للاختيار الاقليمي . ونصدقهم الآن فنقول لهم حذار . انكم تتقدمون ولكن على طريق مسدود والثمن مطلوب منكم – هذه المرة – اما تصفية قضية فلسطين واما تصفيتكم فلا تغرنكم النوايا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة (١)

(١) ياشهداء الثورة في لبنان من المسؤول عن دمائكم ؟!!!

مقال نشر تباعاً في جريدة السفير اسبوعياً ابتداء من يوم ١٩٧٥/١/٢٧